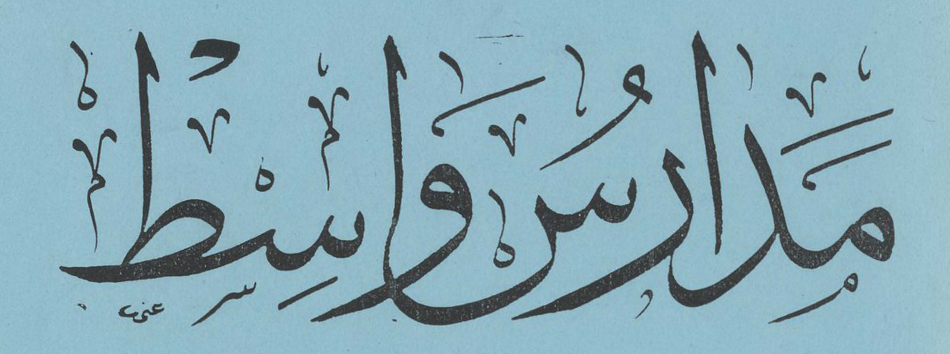


تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد ــ مطبعة الارشاد
١٩٦٦/٣/٢٤



تأليف

ناجي معروف

عضو مجلس الخدمة العامة

بغداد ـ مطبعة الارشاد

١٩٦٦/٣/٢٤

الطبعة الاولى سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م

المقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا البحث الموجز أمران مهمان :

أولهما : واسط وهي أشهر مدينة عربية بناها الامويون في العراق في الربع الاخير من القرن الاول الهجري • وقـد ظلت مهداً من مهـاد الحضارة العربية أكثر من عشرة قرون غدت بعدها اطلالا دارسة لا نعرف عنها الا ما جاء في بطون الكتب وما عثرت عليه مديرية الآثار العامة في أثناء التنقيب فيها من خريف سنة **١٩٣٦**م حتى أواسط أيار سنة **١٩٤٢**هـ •

ثانيهما : ثمـاني مدارس من مدارس واسط التي بنيت مستقلة عن المساجد لتدريس المذاهب الفقهية ، وعلوم العربية ، والتفسير والحديث والرياضيات وقسمة التركات ••• على أيدي نخبة طيبة من علمائها وفقهائها•

وقد افضتُ بقدر الامكان بأخبار المدرسة الشرابية احدى مدارسها المهمة ، وحاولت ان اثبت ان الباب الشاهق ذي المنارتين الذي ما زال قائما بواسط كان بابا لمدرسة وليس بابا لرباط أو تربة بل ربما كان بابا للمدرسة الشرابية التي انشأها شرف‌الدين اقبال الشرابي بواسط سنة **٦٣٢**هـ •

وقـد زودت هـذا البحث ببعض الخرائط والمخططات والتصاوير والشروح المختلفة على ان أعود لهذا البحث مرة أخرى ان شاء الله •

والله ولي التوفيق •

ناجي معروف

الفصل الأول

مدينة واسط

بنى الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبدالملك بن مروان مدينة واسط سنة ٧٥هـ على رأي بحشل[١] الواسطي أو في سنة ٨٣هـ على رأي بقية المؤرخين ، تجنباً للفتن بينهم وبين جنود المِصْرَيْن : الكوفة والبصرة.

وقد ذكر بحشل المتوفى سنة ٢٢٨هـ في كتابه « تاريخ واسط » ان الحجاج كان يرى ان الكوفة والبصرة هما سبب الفتن والاضطرابات في العراق لذلك رغب أن يبني مدينة تكون وسطاً بين هذين المِصْرَيْن ، ليسهل عليه اخماد الثورات فيهما فبناها على بعد خمسين فرسخاً من كل منهما[٢] .

لقد شيد الحجاج مدينته في الجانب الغربي من دجلة في بقعة على تسعة وعشرين كيلومترا من الشمال الشرقي من « الحي » وتقع على ٥٠ فرسخا من بغداد . وكانت مدينة كَسْكَر في الجانب الشرقي وكانت آهلة بالسكان قبل الحجاج . وبنى مسجده وقصره وقبته المعروفة بالخضراء في الجانب الغربي[٣] وكانت القبة ترى من فم الصِّلْح[٤] وذكر الخطيب[٥] البغدادي ان أبا خازم وهو القاسم بن دينار جدّ المحدِّث هُشَيْم[٦] بن بشير ، وأبا شعبة بن الحجاج كانا شريكين في بناء قصر الحجاج بواسط . وكان قصره هذا واسعا مساحته ٤٠٠ ذراع × ٤٠٠ ذراع وله أربعة أبواب

---

(١) هو أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي .

(٢) بحشل : الورقة ١٠ ـ ١١ وياقوت في مادة واسط . القزويني ص ٤٧٨ . الخراج لقدامة ص١٩٤ . ابن خلكان ص٣٤٤ . أبو الفداء ص٣٠٦ـ٧ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ص٣٢٢ . الاعلاق النفيسة ١٨٧ . المقدسي ص١١٨ .

(٤) ابن رسته ص١٨٧ والانساب المتفقة ص١١٦ . وكانت فم الصلح في شمال واسط على سبعة فراسخ منها . بلدان الخلافة الشرقية ص٥٩.

(٥) ج ١٤ ص ٨٥ ـ ٨٨ .

(٦) وهو أبو معاوية السُلَمي الواسطي ولد سنة ١٠٤هـ وروى عنه الامام مالك بن انس ، وسفيان الثوري والامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلاّم . وقد انتقل هشيم من واسط وسكن بغداد الى ان مات بها . وكان أبوه طباخ الحجاج بن يوسف .

كل باب يؤدي الى طريق عرضه ثمانون ذراعاً[٧] وكانت له حديقة وبركة ماء[٨] وكانت مساحة الجامع ٢٠٠ ذراع × ٢٠٠ ذراع .. وانشأ الحجاج الاسواق قرب المسجد والقصر . وكانت الاسواق واسعة . وقد خصص لكل حرفة منطقة معينة . فمنهم : أصحاب السقط أي المتـــاع الرديء ، وأصحاب الفاكهة ، والبقالون .. وخصص لكل جماعة منهم صيرفياً خاصا بهم . وعقد الجسر بين الجانبين . ونقل اليها من وجوه أهل الكوفة ، وأهل البصرة . وأمر أن يصلي أهل الكوفة عن يمين المقصورة ، وأهل البصرة عن يسارها[٩] .

وقد أحاط الحجاج مدينته بخندق وسورين فيما ذكر بحشل[١٠] . وقدرت النفقات التي أنفقهـــا بـ (٤٣) مليون درهم . وقد أصبح الجانب الغربي من المدينة معسكرا منيعا لا يدخله الا من اجتاز من أبواب المدينة . ولم يكن يسمح للغرباء المبيت فيها . قال بحشل[١١] : « ان الحجاج كان لايدع أحدا من أهل السواد يسكن واسطاً فلم يزل على ذلك حتى زال ملك بني أمية فسكن فيها أهل السواد ... وكان الحجاج لايدع أحدا من أهل السواد يبيت بواسط ، اذا كان الليل أُخرجوا من واسط ، ثم يعودون بالغداة في حوائجهم . وكان الحجاج قد جعل على كل باب من أبواب المدينة حرساً ، فاذا كان المغرب رجع من كان خارج المدينـــة ، وخرج من كان بالمدينة من أهل السواد » .

وعمل الحجاج بواسط لأول مرة على اعادة كتابة القرآن الـكريم بالنَّقْط والشكل ليحول دون اللحن في قراءته . وبذل جهده في احلال اللغة العربية في دواوين العراق محل اللغات الأعجمية التي كانت تستعمل فيهـــا . كما عُني الحجاج بأمر النقود والمقاييس والضرائب . وسعى في

---

(٧) بحشل الورقة ١١ وياقوت في مادة واسط .
(٨) الاغاني ج٧ ص٦٦ .
(٩) ياقوت في مادة واسط .
(١٠) الورقة ١٠ .
(١١) الورقة ١٣ .

تحسين الزراعة ، واصلاح القنوات القديمة ، وحفر القنوات الجديدة .

وقال ياقوت[1] : « رأيت أنا واسطاً فوجدتها بلدة عظيمة ، ذات رساتيق وقرى كثيرة ، وبساتين ونخل يفوت الحصر . وكان الرخص فيها موجودا في جميع الاشياء ما لا يوصف » . ويذكر الاصطخري انها كانت أصح هواءً من البصرة ، وخالية من الأهوار[2] . ويذكر الدينوري ان أهل العراق كانوا يقصدونها للتفرج والتنزه ولذلك كثرت فيها الفنادق[3] .

وتفيض كتب المحدّثين والمفسرين والقراء والقراآت والتراجم والمؤرخين بأخبار العلماء الواسطيين كبحشل الواسطي والخطيب البغدادي وابن الجوزي وابن الأثير وابن الدبيثي والشابشتي وابن النجار وابن الفوطي وغيرهم .

وذكر ابن بطوطة[4] ان أهل واسط من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق . أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ، ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة ، واليهم يفد الغرباء لتعلم القرآن الكريم . كما كوّنوا لهم جالية ببغداد وأنشأوا لهم فيها مسجدا يعرف بمسجد الواسطيين[5] .

وجاء في أحسن التقاسيم[6] ان واسطا معدن السمك . وذكر ابن حوقل والدينوري واليعقوبي انها كانت تمد الخزانة سنوياً بمليون درهم . وكانت تموّن بغداد في محصولاتها أيام قلتها . وكان فيها سوق للخشب

---

(١) معجم البلدان ص٣٨٣ . وهي اليوم لا نبت فيها ولا ماء .
(٢) مسالك الممالك ٨٢ .
(٣) الاخبار الطوال ٣٣٩ .
(٤) الرحلة ١٨٣ .
(٥) الخطيب البغدادي ج٩ ص٤٨٢ .
(٦) ص ١١٨ .

وسوق للكتبيين وخانات للصفارين[٧] • وكانت النقود تضرب بواسط بدار الضرب التي أسسها الحجاج بها[٨] ويقول زكريا القزويني[٩] • « وأما نفس المدينة فلا يرى أحسن منها صورة فان كلها قصور وبساتين ومياه » وهي « كثيرة الخيرات وافرة الغلات » •

وبعد موت الحجاج في شهر رمضان سنة **٩٥**هـ ودفنه فيها ظلت المدينة في توسع وتقدم حتى غدت في مدة قصيرة احدى المراكز الحضارية في العالم الاسلامي • وسرعان ما عمرت هي وما حولها وأصبح ما بين الكوت والقرنة وما بين دجلة والفرات من أعمر البلاد في القرون الوسطى يدل على ذلك ما يحيط بها اليوم من أطلال المدن ، والقصور والمناظر والديارات وآثار الأنهار على جانبي نهر دجيلة الحالي في أعلى واسط الى أطلال الرصافة على نهر دجلة الواقع في أسفل واسط والذي يعرف بالشط الأخضر •

ومن جملة ما انشيء فيها مسجد جامع بالجانب الشرقي أنشأه « موسى بن بغا » القائد التركي سنة **٢٦١**هـ وقد عرف بمسجد موسى بن بغا[١٠] • وبنيت لها منارة في خلافة المقتدر بناها حامد بن العباس سنة **٣٠٤**هـ وكان أهل واسط يفتخرون بها وبقبة الحجاج • وعندما وقعت المنارة بعد نحو قرنين من الزمن في **٢٣** من المحرم سنة **٤٩٧**هـ أسفوا عليها كثيرا ، وارتفع في واسط من البكاء والعويل ما لا يكون لفقد آدمي كما يقول ابن الجوزي[١١] •

ويظهر ان الجانب الشرقي من واسط كان أول ما انتابه الخراب فقد ذكر القزويني مدرس الشرابية بواسط وأحد قضاتها في النصف الثاني

---

(٧) راجع الجامع المختصر لابن الساعي ص ١١٨–١١٩ والفرج بعد الشدة ج٢ ص١٢٢ – ط • علام • ونشوار المحاضرة ج٨ ص ١٣١–١٣٢ •

(٨) راجع المقريزي في كتاب النقود ص٣٦ • والبلاذري في فتوح البلدان ص٤٧٤ •

(٩) آثار البلاد ص ٤٧٨ •

(١٠) ابن رسته ١٨٧ •

(١١) المنتظم ج٩ ص١٣٧ •

من القرن السابع الهجري ان المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي ٠ وكان عمرانها قد ازداد في خلافة المستنصر والمستعصم لاهتمامهما بها ٠ وقد زارها المستعصم بين العاشر من جُمادَى الآخرة والسادس من شهر رجب سنة ٦٤٥هـ[١٢] ٠

وتعرضت واسط الى تخريبات المغول بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ وجرت عليها محن كثيرة حين انحدر اليها أحد قواد هولاكو بعساكره فنهب وسبى وقتل الكثير من أهلها ، كما انحدر نصيرالدين الطوسي اليها والى البصرة واستولى على كثير من الكتب لدار الرصد التي بمراغة ٠ كما تعرضت الى تخريبات تيمورلنك أيضا في سنة ٧٩٥هـ وطمست معالمها واندثر جامعها العظيم ، ودار الامارة ، والقبة الخضراء التي شيدها الحجاج في الجانب الغربي منها ٠

وعندما غيرت دجلة مجراها لم يبق من سكانها أحد في سنة ١١٠٧هـ[١٣] ونسيها الناس ، وصارت أطلالها تعرف « بمنارة واسط » وتنتشر آثارها اليوم في بسائط وسهول فسيحة من الارض في منتهى الخصب ٠

وتقع المنارة المذكورة في أقصى الشمال من الجانب الشرقي للمدينة وهي بناية واسعة فيها باب عالٍ معقود وعلى جانبيه منارتان من الآجر مزخرفتان بزخارف آجرية ٠ والمنارة التي على يمين الداخل من الباب أعلى وأضخم من التي على يسار الباب ٠ وقد سقطت على الأرض ٠ ولا يزال الجزء الأسفل من المنارة الثانية قائما ٠

---

(١٢) العسجد المسبوك الورقة ١٧١ ـ أ ـ ٠
(١٣) زهر الربيع للسيد نعمة الله الجزائري ص٢٦١ راجع مباحث عراقية للمرحوم يعقوب سركيس ق٢ ص٤٠ ٠

الفصل الثاني

مدارس واسط في عصر العباسيين والمغول

لقد زخرت واسط في خلافة العباسيين بعـــدد كبير من المدارس ، ودور القــرآن والمقرئين والمدرسين وغـدت من أهـم المراكز لتدريس القرآن ، والقراآت المختلفة • وأصبحت المدن الكبرى ، والاقطار الاسلامية لا تخلو من واسطي يدرّس فيها القرآن وعلومه ، أو يؤلف في القراآت • كما كثرت فيها الرُبُط التي كانت تؤدي خدمات ثقافية واجتماعية في آن واحد • وقد وفد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها • ولعل من أشهرهم : الفيروزابادي الصدّيقي البكري صاحب القاموس المحيط • فقد وفد اليها من بلاد فارس ، ورحل بعد ذلك الى بغداد وغيرها •

واشتهر من بين الاساتذة الكبار بواسط : أبو بكر الباقلاني الذي اقرأ القرآن بها • وقرأ عليه الأدب القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور النحوي الواسطي[1] • ومن علمائها : عمادالدين القزويني الانصاري صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، وكتاب عجائب المخلوقات ، وابن الدبيثي الواسطي المتوفى سنة ٦٣٧هـ وأبو طالب الكتاني المتوفى سنة ٥٧٩هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه[2] ، والقاضي أبو تغلب الواسطي ، وابن أخيه محمد بن محمد وكان ناظـر مارستان واسط[3] • وأبو بكر الفاروثي ، والداعي الرشيدي ، والبدر عبدالجبار بن المجد محدّث واسط وفقيهها ، وعبدالله بن عبدالمؤمن التاجـر الواسطي الذي أقرأ الناس ببغـداد وواسط والبصـرة والبحرين ، والذي صنف كثيرا من كتب القراآت ، والمقرىء أبو العز القلانسي ، وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالما عابدا مقرئا محدثا ••• الخ •

أما المدارس التي كانت بواسط فاليك ما عثرنا عليه منها :

---

(١) معجم الادباء لياقوت ج٥ ص٢٥٩ •
(٢) ابن الدبيثي ١ : ٩٤–٩٥ •
(٣) ابن الدبيثي ج ١ ص ١١٠ •

١ ـ مدرسة خطلبرس

ولعلها من أقدم المدارس بواسط • وكانت في الجانب الشرقي من المدينة في أعلى البلد على مقربة من دجلة وهي تنسب الى خطلبرس أو خطلوبراس المقتول في سنة ٥٦١هـ • وقد ذكر ابن الاثير في كامله وابن خلدون في كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر ••• »[١] انه دفن فيها جعفر بن ••• محمد بن هبيرة المتوفى بواسط سنة ٦١٠هـ •

٢ ـ المدرسة البرانية

جاء ذكرها في الدرر[٢] الكامنة وطبقات الشافعية الكبرى[٣] ولعلها هي مدرسة خطلبرس ذاتها التي ذكرناها آنفا لأن مدرسة خطلبرس كانت في أعلى البلد • ومعنى البرانية أي الخارجة عن البلد وهي عكس «الجوانية» التي في داخل البلد • وكانت البرانية موجودة في سنة ٧٣٨هـ •

وممن درس في المدرسة البرانية يحيى بن عبدالله بن عبدالملك أبو زكريا الواسطي الشافعي ، وكان فقيه العراق • ولد سنة ٦٦٢هـ ودرس على والده • وسمع من الفاروثي • وأجاز له ابن أبي الدّينة[٤] ، وعبدالصمد بن أبي الجيش[٥] ••• وحدّث ببغداد وكانت وفاته بواسط في ربيع الآخر سنة ٧٣٨هـ • وكان فقيها اصوليا له مصنف في الناسخ والمنسوخ • ويذكر له ابن حجر مؤلفا آخر هو كتاب « مطالع الانوار النبوية في صفات خير البرية » ويقول عنه أيضاً انه : برع في الفقه وتخرج به الاصحاب[٦] [أي أصحاب الشافعي] •

ويرى المرحوم يعقوب سركيس ان هذه المدرسة البرانية هي المدرسة

---

(١) ج٣ ص٥٢٠ ط • بولاق •

(٢) ج٤ ص٤١٩ •

(٣) ج٦ ص٢٥٠ •

(٤) راجع ترجمته في كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ •

(٥) راجع ترجمته في كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج ٢ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ •

(٦) السبكي ج ٥ ص ٢٥٠ والدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٩ •

الشرابية التي بناها اقبال الشرابي بواسط ويقول : « ولعل هذه المدرسة الشرابية هي المنعوتة بالبرانية التي درّس فيها يحيى بن عبدالله بن عبدالملك أبو زكريا الواسطي المتوفى في واسط سنة **٧٣٨هـ «١٣٣٧م»** على ما جاء في طبقات السبكي « ٦ : ٢٥٠ » • وسبب ذهابي الى هذا الرأي هو ان موضع البناء القائم كأنه في أول البلد من جهة الشمال أو خارجها ما يدعو الى أن تسمى المدرسة بالبرانية ، وان مدرسة الشرابي بنيت للشافعية وان يحيى المدرس في البرانية المار الذكر كان شافعيا »[١] •

٣ ـ مدرسة الغزنوي

وهي مدرسة مضافة الى أبي الفضل الغزنوي وكانت تقع بمحلة الوراقين بواسط • ويظهر انها من مدارس الحنفية • ذكرها عبدالقادر القرشي في كتابه « الجواهر المضية في طبقات الحنفية »[٢] عندما ترجم لمحمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبي الفضل الغزنوي بقوله : « قدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ، ثم انتقل الى واسط فسكنها الى حيث وفاته ••• يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمئة في مدرسته بمحلة الوراقين • وكان يوم وفاته مشهودا •

٤ ـ مدرسة ابن الكيّال الواسطي

وهي مدرسة للحنفية ذكرها عبدالقادر القرشي[٣] في ترجمة نصرالله ابن الكيّال قال :

نصرالله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي أبو الفتح القاضي المعروف بابن الكيّال • قرأ القرآن الكريم بالروايات العشر على أبي القاسم علي بن محمد بن جعفر • وسمع منه الحديث ومن غيره •

(١) مباحث عراقية ج٢ ص٤٤ـ٤٥ •
(٢) ج٢ ص١٥٤
(٣) الجواهر المضية ج٢ ص١٩٨ •

قدم بغداد في سنة ثلاث وعشرين وخمسمئة وهو شاب يطلب العلم • وعلق مسائل الخلاف عن الحسن بن سلامة المنْبِجي ، وعن القاضي ابراهيم الهيتي حتى برع • وتكلم في مجالس المناظرة • وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي[1] • ثم عاد الى واسط ودرّس بها في مدرسة تعرف به • وتولى القضاء بالبصرة سنة خمس وسبعين وخمسمئة • وعزل في سنة ست وسبعين • وقدم بغداد في ذي القعدة سنة تسع وسبعين ، وأقام بها مدة ، وحدّث بها • وأقرأ القرآن • وعلّم بجامع القصر مسائل الخلاف • قال ابن النجار : كان غزير الفضل ، حسن المناظرة ، له معرفة حسنة بالأدب، ويقول الشعر الجيد • سمع منه ببغداد أبو الحسن القطيعي • ثم انه عاد الى واسط • وتولى القضاء بها في رجب سنة أربع وثمانين • ولم يزل على ولايته الى حين وفاته ليلة الأحد حادي عشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمئة • سئل عن مولده فقال : سنة اثنتين وخمسمئة • قال ابن النجار : سمعت منه الكثير ، ونعم الشيخ كان فضلا وعلما ومعرفة وثقة • وابناه عبدالرحيم وعبداللطيف •

وذكر ابن الساعي هذه المدرسة في « الجامع المختصر »[2] في حوادث سنة ٦٠٥هـ عندما ترجم لابنه عبداللطيف فقال : « أبو المحاسن عبداللطيف ابن نصرالله بن علي بن منصور بن الحسن الواسطي المعروف بابن الكيّال، قاضي واسط ، ومُشْرِف ديوانها ، تولى القضاء بواسط مدة بعد أبيه • وكان فيه فضل ، وعنده معرفة بمذهب أبي حنيفة (رح) درّس الفقه بواسط بعد والده في مدرسة بها للحنفية[3] وتولى التدريس أيضا بمشهد أبي حنيفة ، وخلع عليه من الديوان العزيز فذكر به الدرس في يوم السبت تاسع شوال سنة أربع وتسعين وخمسمئة • وفي المحرم سنة ثمان وتسعين

---

(١) وهو مؤلف كتاب « المعرّب » •

(٢) ص ٢٨٠-٢٨١ •

(٣) ومن المحتمل أيضا أن تكون المدرسة التي درّس بها ابن الكيال مدرسة أبيه أو مدرسة الغزنوي أو غيرهما من مدارس الحنفية بواسط •

أذن له من الديوان العزيز بالاسجال عن الخدمة الشريفة بواسط ، وقبول الشهود فكان على ذلك الى أن عزله قاضي القضاة أبو القاسم عبدالله بن الحسين الدامغاني عن القضاء في سلخ شوال من سنة ثلاث وستمئة . وبقي مشرفاً بالديوان الى أن صُرف قبل وفاته بقليل . وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة خمس وستمئة المذكورة » .

٥ ـ مدرسة ابن ورام

لقد ورد ذكر هـذه المدرسة في آخر مخطوطة « تاريخ واسط » لبحشل الواسطي بصدد سماع البعض له فقد جاء فيه : « سمع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل ... وذلك بواسط في مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام نوّر الله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع عشرين ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة » .

وممن درّس بها الحسن بن أحمد أبو علي بن عبدالله الواسـطي المتوفى سنة ٥٧٦هـ .

٦ ـ المدرسة الشرابية بواسط

سنفصل القول فيها في الفصل الثالث .

٧ ـ مدرسة عبدالمحسن الواسطي

لقد ذكر هذه المدرسة ابن بطوطة في رحلته[1] وهي التي عمرها تقي الدين عبدالمحسن الواسطي . وهو أحد فقهاء واسط ، وأحد كبار علمائها . ويصفها ابن بطوطة بأنها مدرسة عظيمة حافلة كبيرة ، كانت تحتوي على نحو ثلاثمئة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن . ويذكر أيضـا زيارته لمدينة واسط في سنة ٧٢٧هـ واجتماعه بالشيخ تقي الدين المذكور فيقول: « وقد لقيته ، وأضافني وزودني تمرا ودراهم » . وقال عنه أيضا : « انه

(١) الرحلة ص ١٨٣ ط . بيروت .

يعطي كل متعلم بها كسوة في السنة ، ويجري له نفقة كل يوم • ويقعد هو واخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها » •

٨ ـ مدرسة ناصرالدين الصاحبي

كانت هذه المدرسة في أعمال واسط بناها الملك ناصرالدين قتلغ شاه الصاحبي[١] في المأمن[٢] الذي عمله الصاحب علاءالدين الجويني • وكان ناصرالدين صدرا في أعمال واسط سنة ٦٧٦هـ • وعزل عنها سنة ٦٨٥هـ ورتب مشرفاً بالعراق • واستقل بحكم العراق ثم عزل سنة ٦٨٧هـ ثم قتله سعدالدولة مسعود اليهودي مُشْرِف العراق سنة ٦٨٨هـ •

وقد ورد ذكرها في الحوادث الجامعة[٣] في حوادث سنة ٦٨٨هـ وهي السنة التي قتل فيها ناصرالدين في تبريز • وحملت جثته الى بغداد ودفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي (ر) وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليه عدة نواحٍ بواسط وغيرها • وكان يحب الفقراء ويواصلهم • وبنى بالبصرة لما كان واليا فيها رباطا وحماما ، ووقف الحمام وغيره عليه •

---

(١) نسبة الى الصاحب علاء الدين الجويني •

(٢) المأمن : بلدة على نهر جعفر من أعمال واسط • جاء في الحوادث الجامعة ص ٣٧٢ـ٣٧٣ في حوادث سنة ٦٧٠هـ ان صاحب الديوان علاءالدين عطا ملك الجويني أمر « بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه المأمن ،وبنى فيه ديوانا وجامعا وخانا وحماما وسوقا • وانتقل اليه خلق كثير • وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليه فانتفعوا به وأمنوا على أموالهم • وبنى فيه ناصرالدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة » •

(٣) ص٤٥٩ •

الرُبط بواسط :

وأما الرُبُط التي كانت تتخذ ملجأ للفقراء وايواء النساك والزهاد ، ومكانا للتدريس وتعليم الناس القرآن والحديث واللغة ، وأمور الدين فمن أشهرها بواسط :ـ

١ ـ رباط قراجة على نهر دجلة في الجانب الشرقي ٠

٢ ـ رباطا عمر الدورقي ٠ وقد ورد ذكرهما في كتاب الحوادث الجامعة[١] وكان الأول منهما بجانب جامع ابن رِقاقا ٠ وكان الثاني على دجلة قريبا من المدرسة الشرابية ٠

٣ ـ رباط الفريثي نسبة الى فريث احدى قرى واسط[٢] وممن أقام به أحمد بن علي بن سعيد الحَوْزي[٣] المتوفى سنة **٥٧٧**هـ ٠

---

(١) ص٢٥٤ ٠

(٢) ياقوت مادة فريث ٠

(٣) نسبة الى الحوز « وهي قرية من شرقي مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزّامين ، وهي محلة تقابل واسطا من الجانب الشرقي ويقال له حَوْز برقة ٠ ياقوت ٢ : ٣١٨ ٠

الفصل الثالث

المدرسة الشرابية بواسط

١ ـ تأسيسها :

جاء في الحوادث الجامعة[١] في حوادث سنة ٦٣٢هـ خبر عن فتح المدرسة الشرفية أي الشرابية بواسط وهو : « وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان فتحت المدرسة التي أمر بانشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرابي الشافعي بالجانب الشرقي من واسط على دجلة ، مجاورة لجامع كان داثرا فأمر بتجديد عمارته » .

وجاء فيه أيضا قوله : ورُتب بها مدرسا : العدلُ أحمد بن نجا الواسطي. ورتب بها معيدان واثنان وعشرون فقيهاً . وخلع على الجميع ، وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رُتبوا لخدمتها . وعمل فيها دعوة حسنة حضرها : صاحب الديوان ابن الدباهي ، والناظر بواسط ، والقاضي ، والنقيبان ، والقراء ، والشعراء .

وكان المتولي لعمارتها ، والذي جعل النظر اليه ، والى عقبه في وقفها أبو حفص عمر بن أبي بكر بن اسحق الدورقي .

وجاء في الحوادث الجامعة[٢] أيضا في حوادث سنة ٦٥٣هـ وهي السنة التي توفي[٣] فيها اقبال الشرابي انه « بنى بواسط مدرسة على شاطىء دجلة بالجانب الشرقي ، وعمر الى جانبها جامعا .

أما عمر بن أبي بكر الدورقي الذي تولى عمارة هذه المدرسة فقد

---

(١) ص ٧٦–٧٧ و ص ٣٠٨ .

(٢) ص ٣٠٨ .

(٣) جاء في الجزء الأخير من مخطوطة تاريخ الاسلام للذهبي ص٤٩١ ان الشرابي قتل في وقعة بغداد سنة ٦٥٦هـ وهو خطأ والصحيح ان وفاته كانت في سنة ٦٥٣هـ . راجع كتابنا : حياة اقبال الشرابي .

جاء عنه في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي انه كان وزيرا للشرابي ثم أورد كلام ابن الساعي فقال : ذكره شيخنا في تأريخه وقال : كان شيخاً خيّر الطبع ، موفر الحظ من الدنيا . وكان يتولى اشغال امراء البيات ، وينوب عنهم . وعيَّن عليه شرف الدين اقبال الشرابي في تدبير اموره ، وامور جنده لكفايته . وحظي عنده فتوفرت أملاكه ، وكثر حاصلها . واستقامت اموره . واستأذن شرف الدين أن يجدد بواسط جامعا كان داثرا ، فتقدم اليه بعمارته . وأنشأ رباطا الى جانب الجامع ، ورتب فيه مقرئا ، ومحدثا ، واماما . وأجرى عليهم الجرايات اليومية ، والشهرية . واستأذنه في عمارة مدرسة مقاربة الجامع المذكور ، فأذن له في ذلك . ووقف عليها الوقوف الجليلة . ولم يزل فخرالدين عمر فاعلا للخير ، محبا لأهله الى أن توفي ثالث عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وستمئة بمدينة السلام[١] .

وذكره مؤلف الحوادث الجامعة في حوادث سنة **٦٤٨هـ** فقال : وفيها توفي فخرالدين عمر بن اسحق الدورقي . كان يتولى أشغال زعماء البيات ، وينوب عنهم . وكان ذا مال كثير فائض ، وجاه عريض . بنى بشرقي مدينة واسط جامعا كان قد دثر ، يعرف بجامع ابن رقاقا . وعمر الى جانبه رباطا ، وأسكنه جماعة من الفقراء . ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ، ويسمع الحديث . وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية . ثم أنشأ قريبا من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطا آخر على شاطيء دجلة ، وتربة يدفن فيها ، ووقف عليها وقوفا سنية . وكان قد تجاوز السبعين من عمره[٢] .

٢ ـ بقايا احدى مدارس واسط

ان التشابه بين الباب القائم في أطلال واسط اليوم وبين باب المدرسة

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٣ ص ٢٦٧ـ٢٦٨ .
(٢) الحوادث الجامعة ص٢٥٤ .

المستنصرية وباب مدرسة مرجان وباب المدرسة الشرابية أي «القصر العباسي» بقلعة بغداد دفع بنا الى التفكير في أن هذا الباب ربما كان باباً لمدرسة داثرة في محل الخرائب التي كشفت عنها مديرية الآثار العامة . ولذلك حاولنا أن نؤيد هذا الرأي بالأدلة والبراهين فقارنا مخططه ومقطعه الافقي بمخططات الابواب الموجودة في مدارس بغداد الباقية ومقاطعها فتبين لنا من تلك المقارنة ان التشابه يكاد يكون تاماً ليس في المخططات والمقاطع حسب وانما في مجموع الزخرفة الآجرية ، وفي التحديب والتقعير ، وفي الزخرفة الآجرية المظفورة ، وفي شكل الاقواس الطلعية ، وفي الخسفات الجانبية التي في الجدران ..

ولم يختلف هذا الباب عن باب المدرسة المرجانية الا في المنارتين اللتين كانتا قائمتين على طرفي المدخل في حين ان المدرسة المرجانية فيها منارة واحدة على يسار الداخل الى المدرسة . وقد ثبت لمديرية الآثار العامة ان لهذا الباب الذي بواسط منارتين على جانبي الباب القائم حتى اليوم ، وفي كل منهما زخارف آجرية جميلة ، وهي زخرفة حلزونية في المنارة اليسرى الواقعة على يمين الداخل ، أما الزخرفة التي في المنارة الثانية فهي زخرفة قائمة وليست حلزونية . وليس الحال كذلك في المدرسة المرجانية حيث لا توجد الا منارة آجرية واحدة على يسار الداخل خالية من الزخارف الآجرية . ولعله كانت هناك منارة أخرى على يمين الداخل في المدرسة المرجانية وربما دل عليها التدوير الكائن في البناء الذي على يمين الباب وهو يشبه تماما التدوير الذي تحت المنارة القائمة على يسار المدخل . ويختلف ذلك عما في المدرسة المستنصرية اذ ليس لدينا ما يشير الى أن المستنصرية كانت فيها مئذنة أو مئذنتان على جانبي المدخل وكذلك الحال في المدرسة الشرابية أي « القصر العباسي » ببغداد . ومن يدري فلعل هذه المدارس كانت فيها مآذن ثم زالت كدرسة الامير سعادة ببغداد[١] لأن المصادر القديمة لم تشر الا في النادر الى التفاصيل المعمارية للمدارس أو المساجد أو الرُبُط ... الخ .

وقد كانت المدرسة الشرابية والعمارات الاخرى التي بناها عمر

---

(١) راجع ص ١٢٤ من كتابنا « المدارس الشرابية » .

الدورقي كلها في الجانب الشرقي من واسط •

ولقد درست أحوال هذا الباب أيام كنت ملاحظا فنياً في مديرية الآثار العامة ونائبا لرئيس بعثة التنقيب بواسط عام ١٩٤١هـ وقد رأيت يومئذ أن ارمم الجزء الأسفل من المئذنة اليسرى في الموسم الخامس مخافة سقوط الباب بأسره مع بقايا المئذنتين • وقد قمنا منذ ذلك التاريخ بعدة زيارات لمدينة واسط مع بعض أساتذة كلية الآداب وبعض طلابها • وكنا في كل مرة نهيب بمديرية الآثار العامة أن تسارع في صيانة هذا البـاب الأثري العظيم حتى كان صيف سنة ١٩٦٥م ، فعزمت على ترميمه وصيانته بالشكل الذي تراه في التصاوير الجديدة التي ننشرها لأول مرة •

وبعد دراسة المدارس التي بواسط ، ومقارنة الباب المنوه به آنفـاً بباب المستنصرية وبباب المدرسة المرجانية وبباب « القصر العباسي » الذي أعلنا انه « المدرسة الشرابية » تبين لنا من كل ذلك ان الباب الذي بواسط يحتمل جدا أن يكون باباً لمدرسة من مدارس واسط • ويرى البحاثة العراقي يعقوب سركيس انه باب المدرسة الشرابية التي تم افتتاحها بواسط(١) في سنة ٦٣٢هـ أي بعد افتتاح شرابية بغداد بأربع سنوات •

ومما يؤسف له أشد الأسف ان الأبنية في الفناء الذي خلف الباب قد تشوهت الى حد بعيد فضاعت أكثر معالمها ، وبنيت هناك خلال العصور مبانٍ مختلفة ومع ذلك كله نستطيع أن نذكر من النص الذي أورده ابن الفوطي في التلخيص ان البنايات الثلاث التي شيدها الشرابي وهي المدرسة والرباط والجامع كانت متجاورة • كما يمكننا ان نذكر ان وجود الباب المزخرف الشاهق ذي المنارتين ووجود المحرابين والقبور الكثيرة التي عثرت عليهـا مديرية الآثار العامة في الحفريات التي اجرتها قبل سنة ١٩٤١ بواسط في الفنـــاء الذي خلف الباب قـــد يؤيد رأي المرحـــوم يعقـــوب سركيس بعض التأييـــد لاننـــا نســـتطيع أن نعـــين مكان المدرســـة بالبـــاب القائم وبجزء من مخطط المكان الذي خلفه • كما نستطيع أن نذكر ان الجامع هو الذي كان يشتمل على المحرابين • أما الرباط فهو الذي فيـه

---

(١) مباحث عراقية ق٢ ص ٤٧ ـ ٤٨ •

الأضرحة والقبور التي عثر عليها في جزء من الاماكن القريبة من المدخل ، على اننا نرى ان هذه الأضرحة انما حدثت بعد توقف الدراسة فيها لأن الرباط الذي يبنى للفقراء والزهاد والمنقطعين الى الله تعالى لايمكن أن يكون فيه مثل هذا الباب العظيم ذي المنارتين المزخرفتين علاوة على اننا لا نستطيع البت في ذلك لسبب واحد مهم جدا هو ان بقايا هذه المدرسة لا تقع على شاطىء دجلة بل تبعد عنه بضع مئات من الأمتار •

ويمكننا في الوقت نفسه أن نبين أيضا من دراستنا لهذا الباب والاطلال التي خلفه امورا منها :

١ ـ ان باب المدرسة الرئيس يشبه باب المستنصرية ، وباب المدرسة المرجانية • وان مقطعه الافقي يشبه مقطعهما ومقطع المدرسة الشرابيـــة ببغداد • والتشابه تام من حيث السعة والارتفاع ، والتحديب والتقعير ، وطراز الزخرفة وتنوعها • كمـــا ان جانبي المدخل قـــد زخرفا بزخارف آجرية نافرة أو غائرة على جدران مسطحة أو مقعرة • وعلى جانبي الباب عمودان آجريان مظفوران يكونان قوسا طلعيا كأقواس المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد •

ومن أبرز ما في الباب هذه الخسفات المضلعة المستطيلة والخسفات المضلعة الدائرية التي تظهر على جانبي المـــــدخل كتلك التي في مدخل المستنصرية تماما من حيث الشكل والعمق ، مما يدل على ان هذا الباب هو باب لمدرسة أيضا كباب المستنصرية أو المرجانية •

٢ ـ ان هذا الباب الذي بواسط يشبه بعد الصيانة باب المستنصرية بعد صيانته فهو يتألف من :ـ

أ ـ اطار من الآجر غير مزخرف •

ب ـ اطار ثان مزخرف بخسفات مضلعة عميقة تتصل ببعضها يبلغ عددها تسع خسفات في كل جانب وهي كذلك في باب المستنصرية •

ج ـ اطار ثالث غير مزخرف

د ـ اطار مدور نافر مظفور كله بالآجر

هـ ـ اطار آخر مزخرف

و ــ اطار آخر مزخرف

ز ــ مساحة فارغة بين أعلى المدخل الى نهاية القوس الطلعي • ويظهر أن فيها كانت الكتابة الآجرية غير أنها سقطت ، ولا شك في انها كانت على غرار الكتابة التي على باب المدرسة المستنصرية وباب المدرسة المرجانية •

٣ ــ ان عقد الباب عقد طلعي يشبه طلع النخل كأبواب المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد • والباب يفضي الى مجاز على جانبيه حجرتان همـا ١ و٢ من المخطط • والمجـاز طويل يفضي الى صحن مكشوف • والحجرتان تشبهان حجرتين في مدخل المدرسة المرجانية •

٤ ــ وفي الضلع الجنوبية الشرقية ظهـر في المخطط بين الصـحن والجدار الخارجي سـاحة مستطيلة من المحتمل جدا انهـا كانت مسجد المدرسة لاسيما وهي واقعة في الضلع القبلية وان المتجه فيها نحو هذه الضلع يتجه الى الكعبة في مكة المكرمة •

٥ ــ في الاضلاع الأخرى آثار مشوهة لحجرات ومرافق مختلفـة لعلها كانت بيوت الطلبة •

٦ ــ بناء مضلع ثماني الشكل سميك الجدران يظهر أنه كان فوقه قبة عالية وربما كانت القبة التي بناها عمر بن ابي بكر الدورقي لتكون تربة له • ولكنه لم يدفن فيها لانه مات ببغداد سنة ٦٤٨هـ أو هي قبة المشهد الذي شاهده ياقوت في محلة الحز ّامين[١] •

٧ ــ ويظهر ان بعض مرافق المدرسة قد استخدمت لاغراض شتى ولعلها تحولت مع الزمن الى رباط أو ملجأ للفقراء أو المنقطعين الى العبادة • كما دفن فيها بعض الموتى ولذلك يلاحظ في بعض الاقسام التي لا تعتبر من البناء الاصلي ــ وجود مصلىً ومحراب وقبور عديدة يرجع تاريخ آخرها الى سنة ٧٥٠هـ بحسب الشواهد القبرية التي عثرت عليها مديرية الآثار في مواسم الحفر التي اجرتها قبل سنة ١٩٤١م •

---

(١) معجـم البلدان ج ٢ ص ٢٥٢ والحز ّامون : محلـة في شرقي واسط ، واسعة كبيرة ، كأنها منسوبة الى الذين يحزمون الأمتعة أي يشدونها •

٨ ـ على ان الأمر الذي لايجعلنا نجزم جزماً قاطعاً على ان هذا الباب هو باب المدرسة الشرابية وانه من المحتمل ان يكون باباً للمدرسة البرانية هو ان هذا الباب الذي يقع بالجانب الشرقي من واسط لا يقع على دجلة تماما وانما يقع على مسافة منه ، وعلى مقربة من الفرع الجنوبي لشطآن دجلة التي تشبه عطفة من دجلة كأنها الخليج أو الترعة في أعلى واسط الشرقية وهي جزء من نهر دجلة الذي تغمر مياهه المنطقة القريبة من الباب ذي المنارتين • ولما كان هذا الجزء من دجلة قريبا من شمالي الباب المذكور فبامكاننا ان نعده أيضاً باباً للمدرسة الشرابية التي بناها اقبال الشرابي بواسط ولنا من ضخامته وزخرفته وشبهه بأبواب المدارس ببغداد ما يؤيد هذا الرأي •

ان هذا الباب يشخص الى ارتفاع أحد عشر مترا عن سطح أرض المدرسة • والمنارة التي على يمين الداخل جوفاء دون الاخرى • ويمر الداخل من الباب في دهليز قصير على جانبيه حجرتان على هيأة ايوانين لهما في أركانهما الامامية أعمدة ومدورات مزخرفة • والدهليز يفضي الى فناء واسع تبلغ مساحته ٢٤ × ٥٢ مترا تظهر فيه جدران قبة مثمنة الشكل لم يبق منها الا جدرانها السفلى ويظهر من سمكها انها كانت تحمل قبة عالية • كما يظهر في هذه الساحة حجرات عديدة اتخذت مدافن عدا الحجرتين اللتين على طرفي الدهليز القصير الذي يلي الباب • ويبدو ان هذه المدافن قد ثوى فيها عدد كبير من الموتى بعضها في لحود وبعضها في قبور هندسية منتظمة البناء • ويلاحظ ان هذه الحجرات لم تنشأ أول الامر لتكون مقبرة لان القبور بنيت بعد بناء الحجرات بزمن بعيد • ومن جملة الذين وجدت أسماؤهم في الشواهد القبرية في الغرفة (٣) أمين بن عزالدين الهمداني المتوفى سنة ٧٤٩هـ وعطاء ملك ابن الكسائي •••

الفصل الرابع

مدرسو الشرابية بواسط

لم نستطع العثور في المظان المختلفة الا على ثلاثة من مدرسيها في الفترة الواقعة بين افتتاحها سنة ٦٣٢هـ وبين عام ٦٨٢هـ وهو العام الذي توفي فيه المدرس الثالث من مدرسيها بعد ان درّس فيها ثلاثين عاما • كما اننا لم نعرف من معيديها ولا من فقهائها احدا ، غير اننا علمنا من كتاب الحوادث الجامعة ان الشرابي رتب بها معيدَيْن واثنين وعشرين فقيها • اما الخزان فلم يشر اليهم أحد من المؤلفين • واما المدرسون فهم :ـ

١ ـ أحمد بن نجا الواسطي

المتوفى بعد سنة ٦٣٢هـ

يظهر مما جاء في الحوادث الجامعة[١] ان أول مدرس عينه اقبال الشرابي بمدرسته التي بناها بواسط هو العدل أحمد بن نجا الواسطي • وكان معه معيدان يعيدان درسه •

٢ ـ عماد الدين المرندي

٥٩٦هـ ـ ٦٨٠هـ

وهو عمادالدين أبو ذي الفقار محمد بن الاشرف ذي الفقار بن ابي جعفر محمد بن ابي الصمصام ذي الفقار الحسني المرندي الشافعي •

ولد بمرند[٢] سنة ست وتسعين وخمسمئة • وتوفي في شعبان سنة ثمانين وستمئة • وجاء في تاريخ الاسلام للذهبي ومنتخب المختار[٣] انه توفي سنة

---

(١) ص ٧٦ •

(٢) من مدن اذربيجان • وفي منتخب المختار انه ولد في خُوَي وليس بمرند والصحيح ان ابنه هو الذي ولد بخوي • راجع ترجمته في تاريخ علماء المستنصرية ج١ ص ٢١٥ـ٢١٦ والتلخيص ج٤ ق٢ ص٨١٨ـ٨١٩ •

(٣) ص ٥٥ •

٦٨٥هـ • ودفن في حضرة الامام موسى بن جعفر وله من العمر أربعة وثمانون سنة •

قال ابن الفوطي : كان شيخا فاضلا زاهدا • قدم بغداد في شعبان سنة ثلاثين وستمئة ، وانزل في رباط الخلاطية[١] •

ولما فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد في الخامس من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وستمئة رتب فقيها بها • اشتغل على جده ابي الصمصام • وسمع صحيح البخاري على محمد ابن القطيعي شيخ دار السنة المستنصرية •

وفي سنة ٦٤٨هـ رتبه شرف‌الدين اقبال الشرابي مدرسا بمدرسته التي انشأها بواسط فانحدر اليها ودرّس بها • وجاء في الحوادث الجامعة[٢] انه لما حودث الشرابي في ترتيبه دخل عليه بعض الخدم وقال له : قد رأيت الليل مناما فسأله عنه فقال : رأيت علياً ـ عليه السلام ـ ومعه سيف في غمد أخضر وقد ناولك اياه ، وقال لك : هذا ذو الفقار • فأذن في ترتيبه •

وبعد واقعة بغداد عندما فتحت المدرسة المستنصرية سنة سبع وخمسين رتب مدرسا بها •

وجاء في الحوادث الجامعة[٣] في حوادث سنة ٦٧٤هـ انه « تأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس الى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عزالدين أحمد ابن الزنجاني • وخطب الشيخ جلال‌الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ ثم خرجوا من الغد ، كذلك خطب الشيخ عمادالدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية • وخطب الشيخ ظهيرالدين محمد بن عبدالقادر فلم يسقوا ماء الغيث ، انما زاد الفرات عقيب ذلك وسقى الزروع •

---

(١) رباط الخلاطية أو الاخلاطية بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بمشرعة الكرخ • وهو رباط سلجوقي خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين‌الله المتوفاة سنة ٥٨٤هـ وهي بنت الملك قليج ارسلان السلجوقي •

(٢) ص ٢٥٣ـ٢٥٤ •

(٣) ص ٣٨٤ •

وقـد ورد ذكر عمادالدين المرندي في اجـازة ابن الصَّيْقَل[1] الجَزَري التي منحها لمن سمع مقاماته من علماء بغداد في سنة ٦٧٦هـ وقد وصف فيها بانه رئيس الاصحاب « أي أصحاب الشافعي » وركن الشريعة ، وعَلَم الهدى • ويظهر انه سمع المجلس الأول[2] من المقامات سنة ٦٧٦هـ برواق المدرسة المستنصرية •

وعندما قدم ابن الفوطي من مراغة الى بغداد سنة ٦٧٩هـ كتب له عمادالدين الاجازة ولذلك قال عنه : وكتب لي الاجازة • واجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغة •

٣ ـ عمادالدين القزويني

٦٠٠هـ ـ ٦٨٣هـ

وهو أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني[3] • ينحدر من اسرة عربية أصيلة من سلالة أنس بن مالك الانصاري[4] •ولد بقزوين، واليها نسب • ورحل الى دمشق وهو يومئذ شاب • وفي أثناء اقامته بدمشق سنة ٦٣٠هـ اتصل بالصوفي الشهير ابن العربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ •

ولما رجع الى العراق اتصل في الموصل بالكاتب الاديب الكبير ضياءالدين ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ •

ويظهر ان دراسته للفقه مكنته ان يتولى منصب القضاء والتدريس •

---

(١) من يصقل السيف والمرآة وغيرهما •

(٢) يراد بالمجلس الأول من المقـامات الزينية : المقدمة والخطبة ، والمقامة الأولى والثانية • راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ج٢ ص٢٢١ و ٢٢٧ •

(٣) راجع الاعلام للزركلي ج ٣ ص ٨٠ وكشف الظنون ج ١ ص ٩ ، ١١٢٦ ـ ١١٢٨ والكنى والالقاب لعباس القمي •

(٤) انس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الانصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة صاحب رسول الله (ص) وخادمه • توفي بالبصرة سنة ٩٣هـ •

فقد تولى القضاء بالحلة سنة ٦٥٠هـ في خلافة المستعصم بالله • ثم نقل الى القضاء بواسط في سنة اثنتين وخمسين وستمئة • واضيف اليه التدريس بمدرسة اقبال بن عبدالله الشرابي التي بواسط •

ولما سقطت بغداد بيد هولاكو سنة ٦٥٦هـ كان يومئذ على القضاء بواسط • ولم يزل على ذلك الى ان مات في سنة ٦٨٢هـ أي انه تولى التدريس بشرابية واسط نحو ثلاثين سنة •

وكانت وفاة عمادالدين القزويني بواسط ، فحمل الى بغداد ، ودفن في مقبرة الشونيزي • وكان حسن السيرة عفيفا[٤] • كما كان عالما فاضلا يكتب خطا جيدا ولذلك عُدَّ من الخطاطين •

وذكره محمد باقر الخوانساري[٥] فقال : « كان من أعاظم علماء أهل السنة ومحدثيهم الحفاظ ومتفننيهم المهرة في علوم المعاني والألفاظ•••»•

مؤلفـــاته : ولعمادالدين القزويني مؤلفات مهمة جدا في الجغرافية والتاريخ تدلنا على ابداعه وسعة علمه ، كما تشير الى الجو العلمي الذي كان بمدينة واسط ، والمستوى الثقافي الذي كانت عليه مدرسة الشرابي فيها ، ووفرة المصادر العلمية العربية التي استقى منها معلوماته ومعارفه في العراق والبلاد التي رحل اليها ، والبيئة العلمية التي عاش فيها ، والعلماء والرحالين الذين أخذ عنهم • قال كراچكوفسكي[٦] :

يعتبر القزويني أكثر الـكُتّاب العرب قاطبة قرباً الى الجماهير ، وأكبر كوزموغرافي[٧] ومُبَسِّط للعلوم من أجـــل الجمهور • واما الوضوح في الاسلوب فالميزة الكبرى للقزويني هي في بلوغه بهذا النمط أقصى درجة من الابداع الفني •

ويقول عنه أيضا :و هو يتميز بالوضوح في الاسلوب الذي يبلغ به درجة رفيعـــة • وهو في هـــذا نابغـــة يعرض مادته العلمية في كثير من

---

(٤) الحوادث الجامعة ص ٤٣٣ •

(٥) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ص ٢٩٩ •

(٦) تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ •

(٧) الكوزموغرافية : علم وصف الارض •

المهارة ••• ولديه مقدرة فائقة في تبسيط أكثر الظواهر تعقيدا ، وذلك بطريقة جذابة واضحة •

ويقول أيضا : ويرى أحد العلماء المعاصرين ان كوزموغرافية القزويني هي أهم أثر انتجه كاتب عربي في العصور الوسطى • وكثيرا ما قارنه العلماء بهيرودوت Herudotus وپليني Plinius ••

واشهر مؤلفات القزويني كتابه آثار البلاد واخبار العباد ، وكتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات • وكلاهما يتمتعان بانتشار واسع •

فالاول وهو آثار البلاد واخبار العباد ويسمى أيضا : « عجائب البلدان »[٨] ألفه سنة أربع وسبعين وستمئة ، وذكر فيه أكثر بلاد الدنيا • وقسّم العالم فيه الى سبعة أقاليم ، ووصف في كل اقليم مختلف البلاد والمدن ، والجزر والبحيرات والانهار ، مع بحوث تاريخية مفصلة • وتتميز بحوثه في هذا الكتاب بالامتاع لان القزويني جمع فيه ما عرف ، وسمع وشاهد من خصائص البلاد والعباد ، وبحث في الحاجة الى انشاء القرى والمدن ، وتأثير البلاد في السكان والمعادن والنبات والحيوان •

واما الثاني فهو عجائب المخلوقات وهو مصنف في وصف الكون ، رفعه القزويني الى عطا ملك الجويني حاكم بغداد في عهد المغول • وهو ينقسم الى قسمين الاول : يبحث في العالم العلوي فيتكلم فيه على الاجرام السماوية ، وسكان ذلك العالم من الملائكة • ويتكلم على التوقيتات والتقاويم العربية والسريانية وما يرتبط بهما من أعياد ومناسبات • والثاني يبحث في الارض وظواهرها بحثا مفصلا • ويتكلم فيه على أسباب حدوث الزلازل ، وتكوين الجبال ، ونشأة الانهار والمنابع والعيون • ويعلل ذلك بتعليلات طبيعية وجيولوجية • ويتكلم فيه أيضا على الانسان وخصائصه الاخلاقية وتركيبه العضوي ، ومميزات الشعوب المختلفة •

---

(٨) كشف الظنون ج ١ ص ٩ ، ١١٢٦ •

والنسخة الاصلية من كتابه هذا مزودة بالرسوم المصغرة التي تسمى minitures ويرى علماء الحشرات ان هذه التصاوير قد صورت باشراف القزويني نفسه • وللكتاب نسخ اصلية كثيرة ، وفي بعضها اضافات لعلماء آخرين ، ولا شك في ان عددها الكبير يدل على الرواج والانتشار والاقبال الذي لقيه كتاب القزويني • وقد امتد صيت هذا الكتاب حتى بلغ روسية ، ولعله المؤلف العربي الوحيد الذي نفذ اسمه الى الوثائق الرسمية لتلك الحقبة من التاريخ الروسي[٩] كما يقول كراچكوفسكي •

وكان لهذا الكتاب رواج في آسية الوسطى حتى أوائل هذا القرن حيث ظهرت منه طبعات جديدة في اللغات المحلية •

والكتاب مزود أيضاً بخارطة مستديرة للعالم على طراز خارطة الاصطخري وهو مزين كما أسلفنا بالتصاوير الصغيرة التي تبلغ قمة الجودة والاتقان كتصوير الكواكب والنبات والحيوان والمعادن والطيور ، وما له علاقة بالفيزياء ، والتاريخ الطبيعي • ومثل هذه المادة كبير للغاية ، ومتنوع لدى الكوزموغرافي العربي •

وللقزويني عدا ذلك فصول خاصة تتعلق بالارواح ، والمخلوقات العجيبة ، وآراء في علم النفس • ولذلك كله يعد القزويني من بين أضخم الاسماء التي ظهرت في محيط الادب الجغرافي حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي[١٠] • وقد ترجم الى لغات عديدة كالفارسية والتركية والالمانية••• وترجم بعضه الى الفرنسية وطبع بباريس سنة ١٨٠٥م[١١] « وذكر الأب شيخو اليسوعي انه وقف في حلب على كتاب في تاريخ مصر وخططها نحو خطط المقريزي ينسب للقزويني ، وفيه تاريخ القاهرة منذ بناها جوهر مطولاً ونقل منه فصلا في خزانة الكتب جزيل الفائدة نشر في المشرق في السنة ٨ ص ٩٢٦ »[١٢] •

---

(٩) تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ •

(١٠) كراچكوفسكي ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ والاعلام للزركلي ج٣ ص٨٠ •

(١١) راجع جرجي زيدان ج ٣ ص ٢٣٨ •

(١٢) جرجي زيدان ج ٣ ص ٢٣٨ •

المخططـات
والالـواح
والخرائط
والشـروح

موقع واسط

تقع واسط في الشمال الشرقي من مدينة الحي الحالية وفي الجنوب الشرقي من الكوت على ضفتي دجلة التي تعرف بالدجيلة اليوم ٠

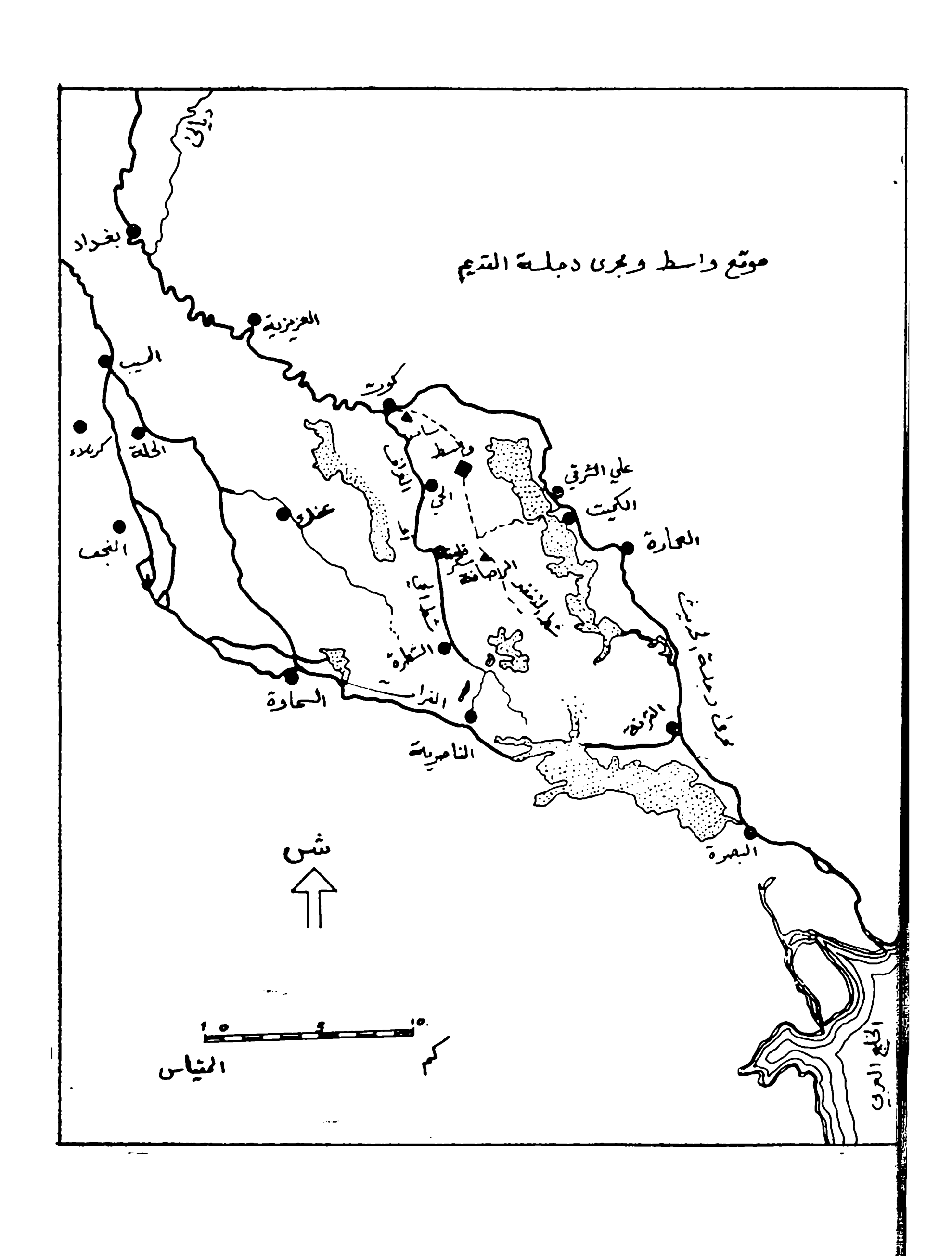
وواسط اطلال واسعة تبلغ مساحتها نحو ثلاثة كيلومترات مربعة ويبلغ ارتفاع أعلاها نحو خمسة عشر مترا ٠

ويقع في القسم الغربي منها اطلال جامع الحجاج ودار امارته وقبته الخضراء ٠ كما يقع في القسم الشرقي منها باب شاهق مزخرف وعلى جانبيه آثار منارتين بنيتا بالآجر ٠

ان نهر دجلة كان يجري من أسفل الكوت فيمر بمدينة سابس التي لا تزال اطلالها قائمة تعرف بهذا الاسم ثم يمر بمدينة فم الصِّلح المشهورة ثم بدير ما فنى ثم يخترق مدينة واسط ثم يسير حتى يبلغ مدينة الرصافة ٠

ان نهر دجلة هذا يقال له اليوم « دُجَيلة » ويسمى القسم الاسفل منه الذي تقع عليه مدينة الرصافة باسم الشط الاخضر ٠

وينتشر على جانبي دجلة القديم فوق واسط وأسفل منها عدد كبير من القرى والمدن والانهار الدارسة ذكرها المؤرخون والبلدانيون العرب كالحدادية والمأمن وتل فخار وحسان التي تعرف اليوم ب (الحصان) والحوز وساسي وقصر الرمان وساقية سليمان وسويقة ابن عيينة والشلمغان وصريفين والصليق وهاروت والارحاء والكرش وباذبين وبرجونية ٠٠٠ ونهر الصلة ونهر الفضل ونهر قريش ٠٠ الخ ٠

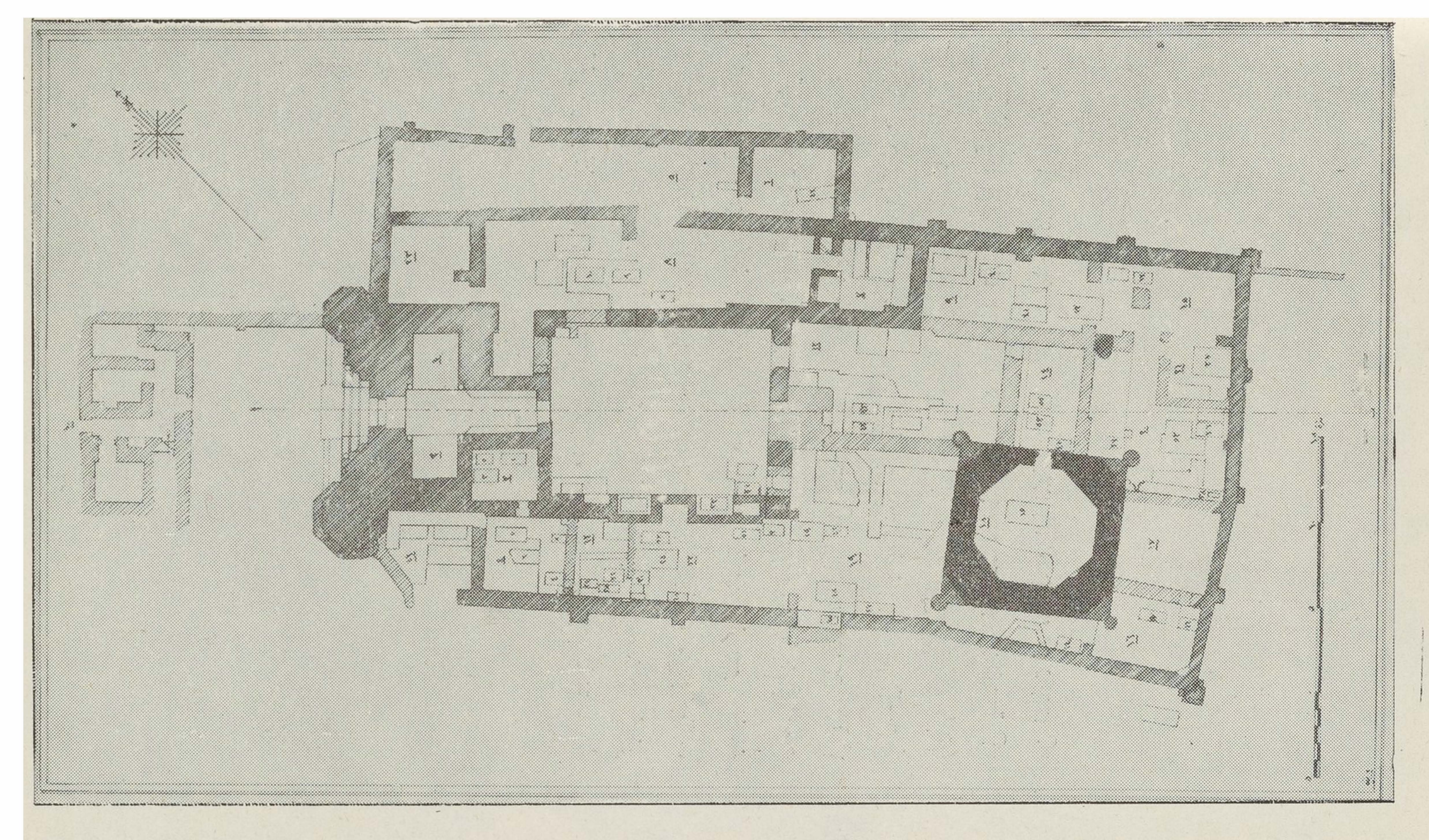

موقع واسط ومجرى دجلة القديم
بغداد
العزيزية
المسيب
كربلاء
الحلة
النجف
عفك
كوت
واسط
الحي
علي الشرقي
الكميت
العمارة
الشطرة
السماوة
الناصرية
القرنة
البصرة
الخليج العربي
ش
كم
المقياس

المنـــارة
أو
باب واسط

عرفت واسط في القرنين الماضيين باسم « المنارة » ذلك لان للباب القائم اليوم في الجانب الشرقي منها منارتين قائمتين على جانبيه ، وذلك كل ما بقي قائما من مدينة واسط العظيمة التي عاشت أكثر من عشرة قرون ٠

وقد رممت مديرية الآثار العامة الباب والاجزاء السفلى من المنارتين عام ١٩٦٥ ٠

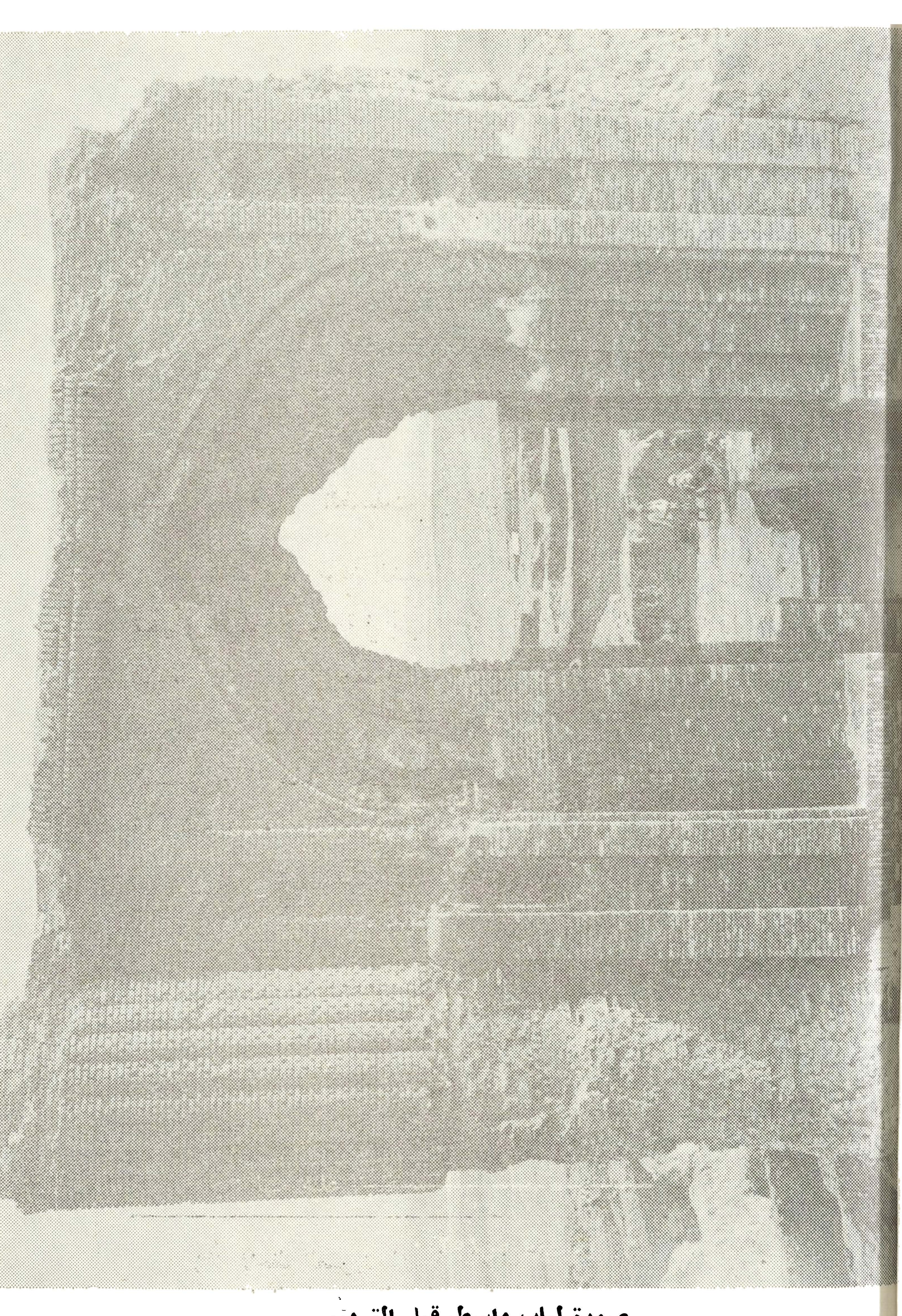
ويلاحظ خلف الباب وجود بناية داثرة تتصل بالباب ، تبلغ مساحتها ٢٤ × ٥٢ مترا وتتكون من فناء واسع حوله عدد من الحجرات ٠ ووراء الفناء حجرة مثمنة ضخمة الجدران لعلها كانت ضريحا لاحد المشهورين كما تضم الحجرات الاخرى عددا كبيرا من القبور والشواهد التي دوّن عليها تواريخ الذين قبروا فيها بين عام ٧٠٦هـ و٧٥٠هـ ٠



مخطط الباب والتربة والقبة المثمنة بواسط

باب واسط
قبل الترميم

يبلغ ارتفاعه احد عشر مترا وهو باب طلعي مزخرف بزخارف آجرية كباب المدرسة المستنصرية وباب المدرسة المرجانية من حيث الشكل والسعة والزخرفة • وينبغي ان يلاحظ ان الخسفات التي في أعلى الباب والتي على جانبيه تتشابه تشابها تامـا مع تلك التي في باب المدرسة المستنصرية والتي في باب المدرسة المرجانية المطل على الصحن • ولاتختلف عن الاخيرة الا في ان الخسفات المطلة على صحن المدرسة المرجانية مليئة بالزخرفة • مما يدل على ان هذا الباب ربما كان بابا لمدرسة من مدارس واسط • ويشاهد الباب في هـذه الصورة قبل ترميمه • كما يلاحظ ان أسفل المنارة التي على يسار الداخل قد سقط الآجر منه وانتزعه الناس كما ان الجزء الاعلى من المنارة قد سقط • اما المنارة الاخرى فقد سقطت كلها على الارض •

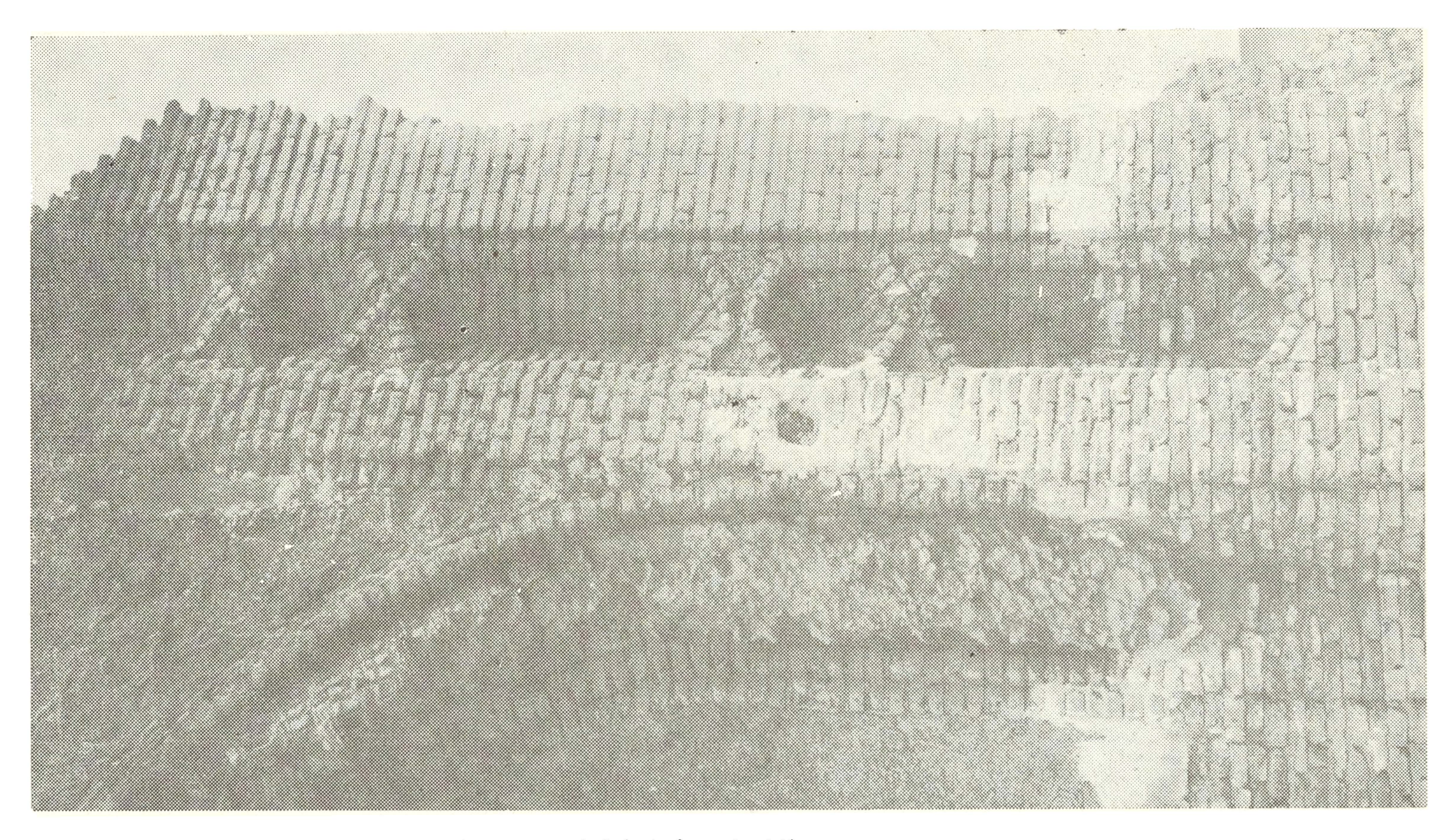


صورة لباب واسط قبل الترميم

الخسفات الزخرفية في باب واسط

يلاحظ بوضوح ان الخسفات التي في أعلى باب واسط والتي في جانبيه تشبه الخسفات الآجرية في باب المدرسة المستنصرية[1] تمام الشبه من حيث الشكل والعمق • ويشاهد في الصورة زخارف الباب في الجانب الذي على يمين الداخل كما انها تشبه الخسفات التي في باب المدرسة المرجانية من جهة الصحن غير ان هذه الخسفات في المدرسة المرجانية مزخرفة بزخارف آجرية في داخلها[2] •

(١) لاحظ الصورة التي في الصفحة ٢١٩ من هذا الكتاب •
(٢) لاحظ الصورة التي في الصفحة ٢٠٣ •

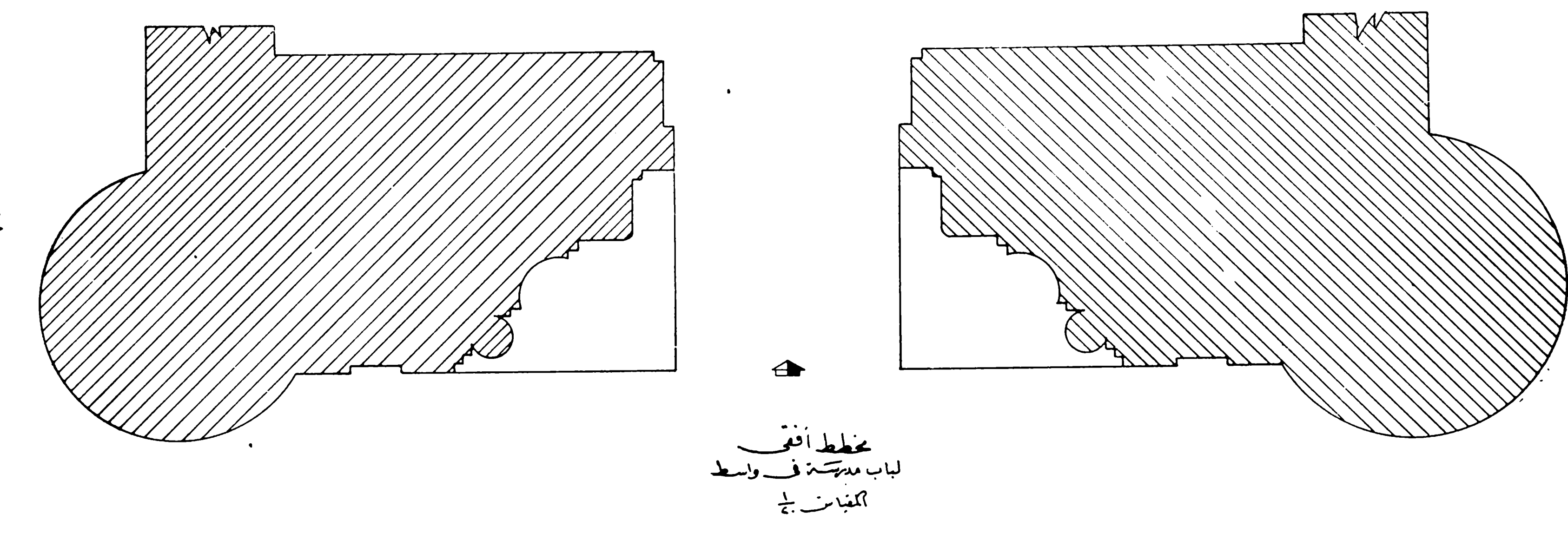


صورة للخسفات الزخرفية في باب واسط

مقطع افقي

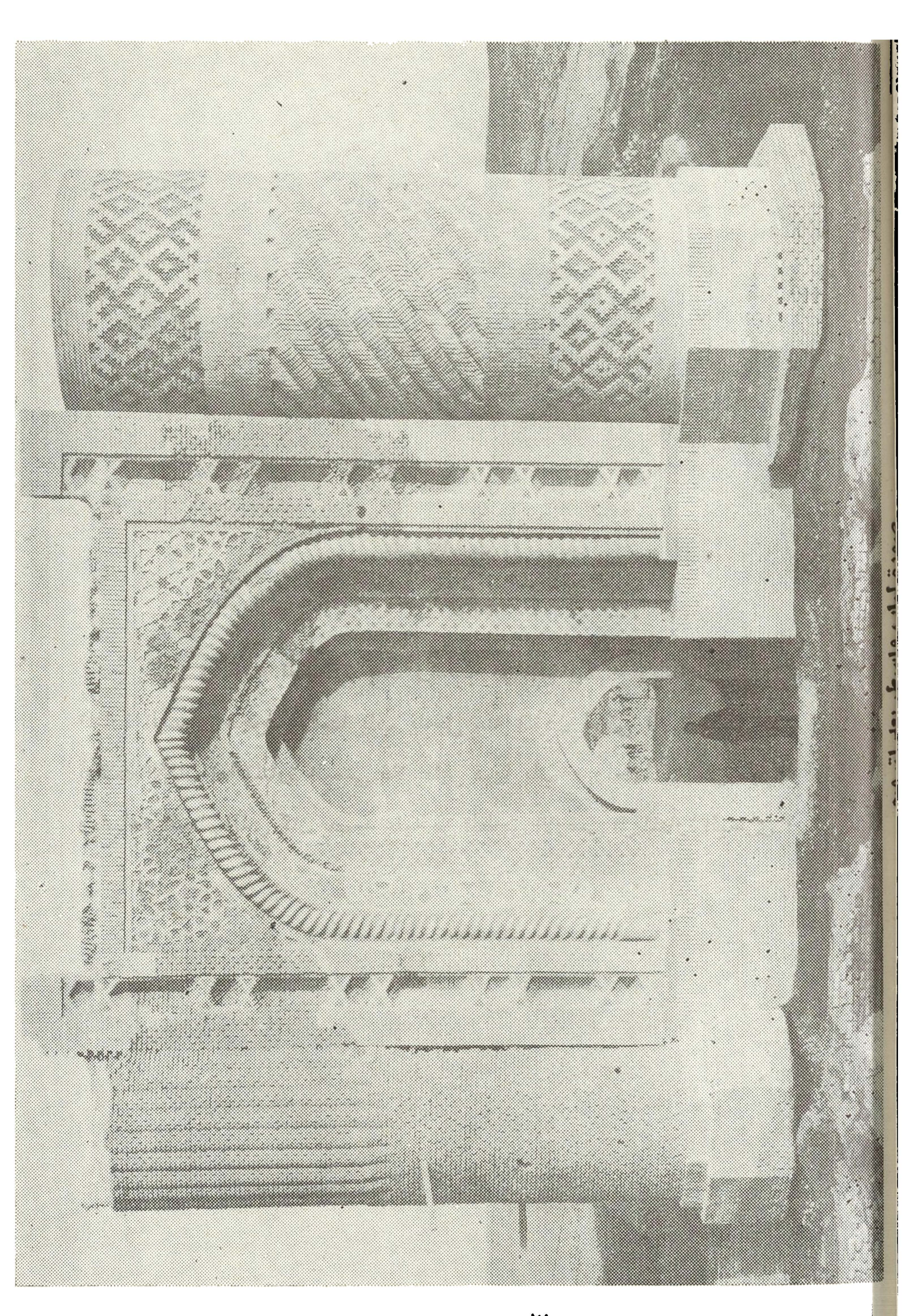
لباب واسط

ان التشابه بين المقطع الافقي لهذا الباب وبين المقاطع الافقية للابواب التي في المدرسة المستنصرية والمرجانية والشرابية ببغداد لا يدع مجالا للشك في ان هذا الباب كان بابا لمدرسة في واسط قد يكون باب المدرسة الشرابية بواسط أو بابا لمدرسة أخرى ٠ وذلك يثبت لنا ان أبواب المدارس كانت تبنى بطراز واحد بوجه عام ٠


مخطط أفقي
لباب مدرسة في واسط
المقياس ١/٢

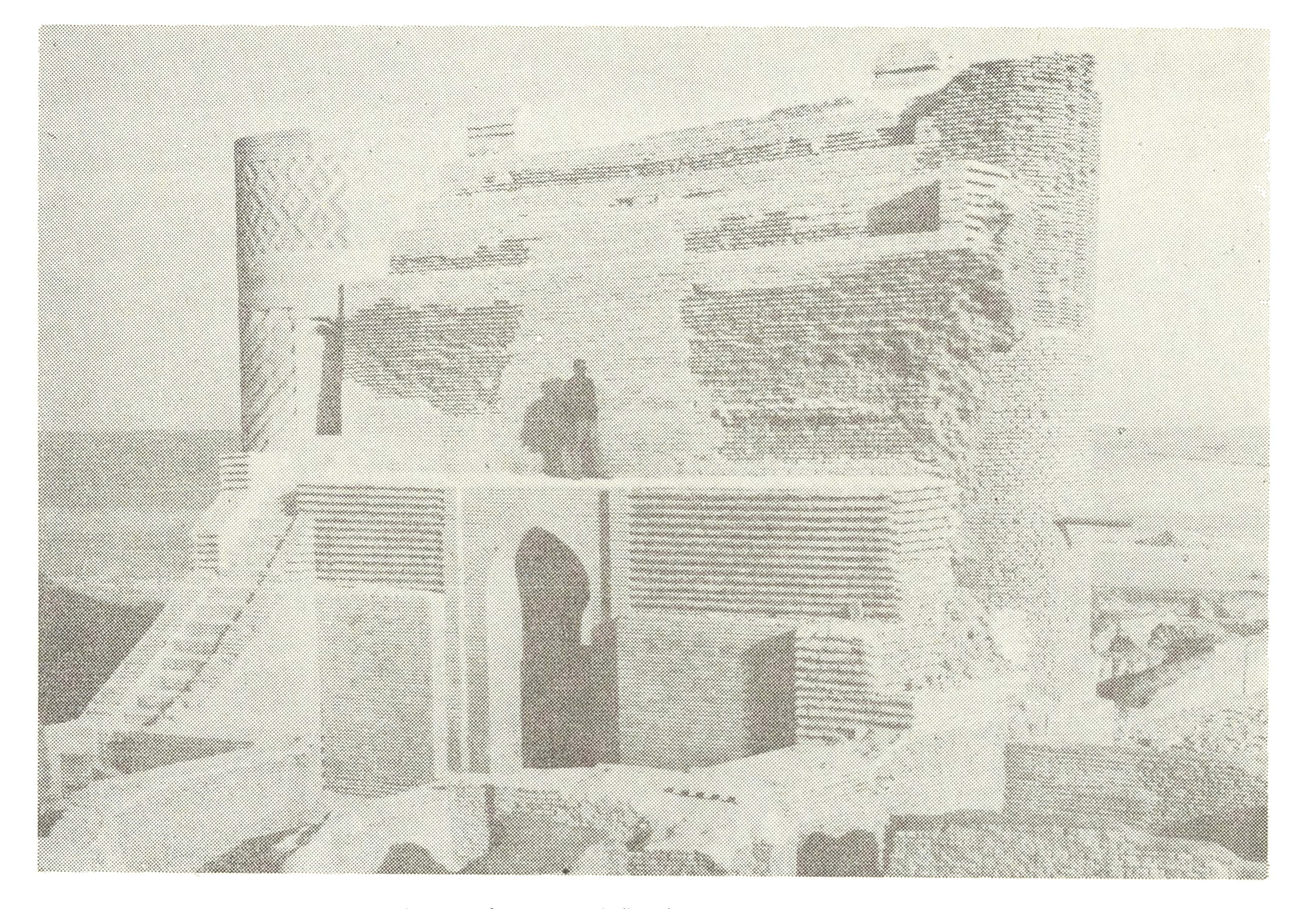
باب واسط
بعد الترميم

لقد رمم هذا الباب سنة ١٩٦٥م وقد بدا بابا طلعيا مدبب الرأس مثل باب المدرسة المستنصرية والشرابية والمرجانية ببغداد وهو يشبه هذه الابواب في الزخارف الآجرية والانطقة المزخرفة والخسفات المضلعة الطويلة والقصيرة في أعلى الباب وعلى جانبيه . ويلاحظ ان المنارتين اللتين على جانبي الباب قد رممتا أيضا بزخارفهما الآجرية الى حد ارتفاع الباب فقط .



باب واسط
بعد الترميم

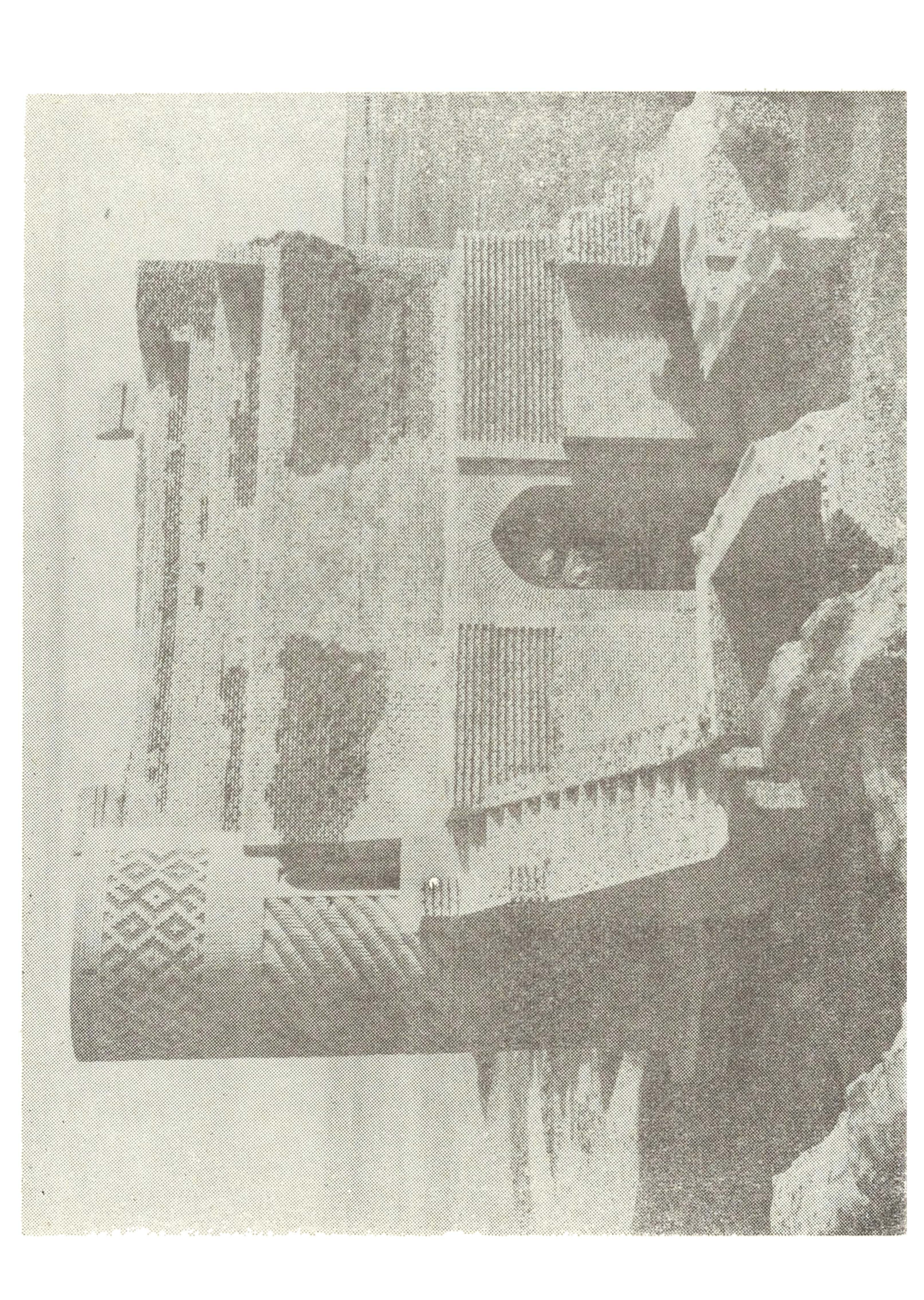
يظهر في هذه الصورة باب واسط من الخلف ۰ ويشاهد فيه ان المنارة اليسرى مجوفة وفيها باب يدخل منه المؤذن ليرقى الى الحوض عند أوقات الأذان اما المنارة اليمنى فلا يظهر فيها باب ۰ ولعلها لم تكن مجوفة ويشاهد السلم الذي كان يصعد عليه من الطابق الارضي الى المنارة اليسرى ۰



صورة خلفية لباب واسط بعد الترميم

باب واسط بعد الترميم

يظهر في هذه الصورة المنارة اليسرى بزخارفها الحلزونية المظفورة وبزخارفها الآجرية الاخرى كما يظهر العقد الداخل للباب وهو عقد طلعي مدبب أيضا ٠ ويتصل الباب بمجاز قصير على جانبيه حجرتان كما هو الحال في المدرسة المرجانية ٠ ويفضي المجاز الى فناء واسع فيه عدد من الحجرات ظهرت جدرانها السفلى بعد أن ازاحت مديرية الآثار العامة الاتربة عنها ٠



المراجـــع

الكتب الخطية

ابن النجار : التاريخ المجدد لمدينة السلام ·
أبو الحسن الخزرجي : العسجد المسبوك ·
بحشل الواسطي : تاريخ واسط ·
الذهبي : تاريخ الاسلام ·

الكتب المطبوعة

ابن الاثير : الكامل ·
ابن جبير الكناني : الرحلة ·
ابن الجوزي : المنتظم
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ·
ابن حوقل : كتاب صورة الارض
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ·
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ·
ابن خلكان : وفيات الاعيان ·
ابن رافع السلامي : منتخب المختار ·
ابن ُرسته : الاعلاق النفسية ·
ابن الساعي : الجامع المختصر ·
ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ·
ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ·
ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ و ٥ ·
ابن القيسراني : الانساب المتفقة ·
أبو الفداء : تقويم البلدان ·
أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ·
الاصطخري : مسالك الممالك ·
البلاذري : فتوح البلدان ·
التنوخي : الفرج بعد الشدة ·
جرجي زيدان : آداب اللغة العربية ·
الحاج خليفة : كشف الظنون ·
الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ·
الدينوري : الاخبار الطوال ·

الذهبي : مختصر ابن الدبيثي ٠
الزركلي : الاعلام ٠
السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٠
السيوطي : نشوار المحاضرة ٠
عباس القمي : الكنى والالقاب ٠
عبدالقادر القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٠
فؤاد سفر : واسط ٠
قدامة بن جعفر : الخراج ٠
القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ٠
كراچكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي ٠
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٠
محمد باقر الخوانساري : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات
المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٠
المقريزي : كتاب النقود ٠
ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ٠
ناجي معروف : المدارس الشرابية ٠
نعمةالله الجزائري : زهر الربيع ٠
ياقوت الحموي : معجم الادباء ٠
ياقوت الحموي : عجم البلدان ٠
يعقوب سركيس : مباحث عراقية ٠
اليعقوبي : البلدان ٠

الفهرست

من آثار المؤلف المطبوعة

أولا ـ كتب ورسائل :

١ ـ المنتخبات الادبية · بغداد ـ مطبعة الكرخ سنة ١٩٣٥ ·

٢ ـ المدرسة المستنصرية · بغداد ـ مطبعة دنكور سنة ١٩٣٥ ·

٣ ـ مقدمة في تاريخ المستنصرية وعلمائها · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٨ ·

٤ ـ علماء المستنصرية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ·

٥ ـ تاريخ علماء المستنصرية في مجلد واحد · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٥٩ ·

٦ ـ المدخل في تاريخ الحضارة العربية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٠ ·

٧ ـ المدرسة الشرابية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ·

٨ ـ خطط بغداد · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦١ ·

٩ ـ تثنية الاسماء التاريخية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٣ ·

١٠ ـ التوقيعات التدريسية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٣ ·

١١ ـ عروبة المدن الاسلامية · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٤ ·

١٢ ـ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة · بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٥ ·

١٣ ـ تاريخ علماء المستنصرية في مجلدين · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ·

١٤ ـ مقدمة في تاريخ مدرسة أبي حنيفة وعلمائها · بغداد ـ مطبعة العاني سنة ١٩٦٥ ·

١٥ ـ علماء ينسبون الى مدن أعجمية وهم من أرومة عربية · بغداد ـ مطبعة الحكومة سنة ١٩٦٥ ·

١٦ ـ نشأة المدارس المستقلة في الاسلام · بغداد ـ مطبعة الازهر سنة ١٩٦٦ ·

١٧ ـ حياة اقبال الشرابي • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •
١٨ ـ مدارس واسط • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •
١٩ ـ مدارس مكة • بغداد ـ مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ •

ثانيا ـ كتب للمؤلف مع مؤلفين آخرين :

٢٠ ـ المطالعة العربية الحديثة ثلاثة أجزاء • بغـداد ـ مطبعة النجاح سنة ١٩٣٤ •

٢١ ـ تاريخ العرب (عدة طبعات بعدة مطابع) سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٢ ـ موجز تاريخ الحضارة العربية (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد سنة ١٩٤٩ فما بعدها •

٢٣ ـ دروس التاريخ (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

٢٤ ـ تاريخ العرب في القرون الوسطى (عدة طبعات بعدة مطابع) ـ بغداد •

ثالثا ـ بحوث مختلفة في المجلات العراقية : كمجلة كلية الآداب ومجلة الكتاب ، والاقلام ، والمعلم الجديد ، والاجيال ••• ومجلة كلية الشريعة ••• الخ •

١ ـ تكوين رأي عام لعقد مجمع للتشريع الاسلامي •
٢ ـ أسلوب البحث العلمي عند المحدّثين •
٣ ـ تكوين الجيل الصالح •
٤ ـ بلاد اوربية حضّرها العرب •
٥ ـ أول تأميم في العراق •
٦ ـ أول جامعة ببغداد •
٧ ـ الضمان الاجتماعي في الاسلام •
٨ ـ موارد الضمان الاجتماعي في الاسلام •
٩ ـ ضوء جديد على أوقاف المستنصرية •
١٠ ـ مشروع الضحية •
١١ ـ خزانة المستنصرية •
١٢ ـ مدارس الشرابي وأعماله الخيرية •
١٣ ـ عصر الشرابي ببغداد •

COLLEGES

OF

WASIT

by

Prof. Naji Marouf

Member Public Civil Servicc Board

Al - Irshad Press

Baghdad { 1385 A.H
1966 A.D